

البويطى

أعلام التصوف

سيد الفقهاء البويطي

الإمام العلامة سيد الفقهاء الزاهد، الذي طلب الشهادة ونالها، طلبوه أن يجيبهم إلى القول بخلق القرآن فأبى، قيدوه بالحديد في يديه ورجليه وأوثقوه بالأغلال في عنقه فما زاده إلا ثباتاً على الحق، ضربوه وعذبوه فما أراح لهم بال ولا أجاب لهم سؤال. قال له والي مصر ارفق بنفسك وأجبنني بالموافقة فيما بيني وبينك ولا أعلم أحداً بذلك فأبى وقال: “ لا يقتدي بي أحد في باطل “ وقام مقام الصديقين فحملوه في الأغلال إلى العراق فحبس وعذب وقال قولته الشهيرة: “ لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم “.

كان إماماً جليلاً عابداً زاهداً فقيهاً عظيماً مناظراً جبلاً من جبال العلم والدين غالب أوقاته الذكر والتشاغل بالعلم غالب ليله التهجد والتلاوة سريع الدمعة

تفقه على الشافعي واختص بصحبته.

وله من المؤلفات المختصر المشهور والذي اختصره من كلام الشافعي رضى الله عنه، وكان الشافعي رضى الله عنه يعتمد علي البويطي في الفتيا ويحيل عليه إذا جاءته مسألة واستخلفه على أصحابه بعد موته فتخرجت على يديه أئمة تفرقوا في البلاد ونشروا علم الشافعي في الآفاق وكان من الشافعي بمكان مكين.

وكانت الفتاوى ترد على البويطي من السلطان فمن دونه وهو متنوع في صنائع المعروف كثير التلاوة لا يمر يوم وليلة غالباً حتى يختم فسعى به من يحسده وكتب فيه إلى وزير السوء ابن أبي دؤاد

بالعراق فكتب إلى وإلى مصر أن يمتحنه فامتحنه فلم يجب.

كان إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد فيقول: أجب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أنني قد أجبته داعيك فمنعوني.

إنه الفقيه شهيد الحق أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي (1)، صاحب الشافعي رضي الله عنه؛ كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابةً، اختص به في حياته، وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته، سمع الأحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي ومن الإمام الشافعي، وروى عنه أبو إسماعيل الترمذي وإبراهيم بن إسحاق الحربي والقاسم بن المغيرة الجوهري وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم. وكان قد حمل في أيام الواثق بالله من مصر إلى بغداد في مدة المحنة وأريد على القول بخلق القرآن.

كان البويطي حين مرض الشافعي بمصر هو وابن عبد الحكم والمزني، فتنازعوا الحلقة، فبلغ ذلك الشافعي، فقال: الحلقة للبويطي. فلهذا اعتزل ابن عبد الحكم الشافعي وأصحابه، وكانت أعظم حلقة في المسجد.

وتوفي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين، في القيد والسجن ببغداد، ونال الشهادة كيفما أراد في قوله: “لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا

(1) والبويطي، بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها طاء مهملة، هذه النسبة إلى بويط، وهي قرية من أعمال الصعيد الأدنى من ديار مصر.

الشأن قوم في حديد هم “ (1)

وقد أثني عليه الفقهاء والعلماء المحدثين كثيراً فقالوا عنه بأنه “
كان صالحاً متنسكاً عابداً زاهداً.

وقال أبو حاتم: “ هو صدوق. وكان إماماً في العلم، قدوة في
العمل، زاهداً ربانياً، متهجداً، دائم الذكر والعكوف على الفقه.
وقال الشافعي: ليس في أصحابي أحد أعلم من البويطي.

وقال الربيع بن سليمان: كان البويطي أبداً يحرك شفثيه بذكر الله،
وما أبصرت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله من البويطي.

ولقد رأيت على بغل في عنقه غل، وفي رجليه قيد، وبينه وبين
الغل سلسلة فيها لبنة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق الله
الخلق ب “ كن “، فإذا كانت مخلوقة، فكأن مخلوقاً خلق بمخلوق.

ولئن أدخلت عليه لأصدقته. (يعني بذلك الخليفة العباسي الواثق)،
ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا
الشأن قوم في حديد هم (2).

وقال أبو الوليد بن أبي الجارود: كان البويطي جاري فما كنت
أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي.

(1) الجرح والتعديل 9 / 235، الفهرست: 265، 266، طبقات الشافعية للعبادي: 7، تاريخ
بغداد 14، 299، 303، طبقات الفقهاء للشيرازي: 79، الباب 1 / 189، وفيات الأعيان
7 / 61، 64، تهذيب الكمال: 1562، 1563، تهذيب التهذيب 4 / 192 / 1، العبر 1 /
411، طبقات الشافعية للسبكي 2 / 162، 170، طبقات الشافعية للأسنوي: 208،
طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 45، تهذيب التهذيب 11 / 427، 429، النجوم
الزاهرة 2 / 260، 261، حسن المحاضرة 1 / 123، خلاصة تهذيب الكمال: 440،
شذرات الذهب 2 / 71، 72. سير أعلام النبلاء، 12 / 59.
(2) وفيات الأعيان، 7 / 63.

وقال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم: رأيت أبي في المنام فقال لي: يا بني عليك بكتاب البويطي فليس في الكتب أقل خطأ منه.

وقال الربيع أيضاً: كتب إلي أبو يعقوب من السجن: إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي، فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقك، واستوص بالغرباء خاصة خيراً، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم :: ولن تكرم النفس التي لا تهينها

مواقف من حياته رحمه الله:

ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف

قال ابن خزيمة: كان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أعلم من رأيت بمذهب مالك، فوقع بينه وبين البويطي خلاف عند موت الشافعي، فتنازع ابن عبد الحكم والبويطي مجلس الشافعي، فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال الآخر كذلك.

فجاء الحميدي، وكان بمصر، فقال: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف، ليس أحد من أصحابي أعلم منه.

فقال ابن عبد الحكم:

كذبت.

قال: بل كذبت أنت وأبوك وأمك.

وغضب ابن عبد الحكم.

فجلس البويطي في مكان الشافعي، وجلس ابن عبد الحكم في الطاق الثالث. وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه، وجلس

البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه (1).
وقد كان الشافعي عليه السلام أخى محمد بن عبد الحكم المصري
وكان يحبه ويقربه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، واعتل محمد
فعاده الشافعي، فحدثني القرشي عن الربيع قال: سمعت الشافعي ينشد
وقد عاد محمداً:

مرض الحبيب فعدته : فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني : فبرأت من نظري إليه
:

وما شك أهل مصر أن الشافعي يفوض أمر حلقة إليه، وأنه
يستخلفه بعد موته ويأمر الناس بالحضور عنده، حتى سئل عن ذلك
في علة فقيل له: يا أبا عبد الله إلى من نجلس بعدك، ومن يكون
صاحب الحلقة، وهم يظنون أنه يشير إلى محمد فاستشرف لذلك محمد
وتطاول لها، وكان جالساً عند رأسه فقال: سبحان الله أيشك في هذا
أبو يعقوب البويطي، فانكسر لها محمد ووجد في نفسه ومال أصحابه
إلى أبي يعقوب البويطي، وقد كان محمد حمل علم الشافعي ومذهبه
وفارق مذهب مالك، إلا أن البويطي كان أزهد وأورع، فحمل
الشافعي نصحه للدين والنصيحة للمسلمين، ولم يداهن في ذلك بأن
وجه الأمر إلى أبي يعقوب، وأثره لأنه كان أولى، فلما قبض الشافعي
رضي الله عنه انتقل محمد بن عبد الحكم مذهباً، وفارق أصحابه
ورجع إلى مالك، وروى كتب أبيه عن مالك، وتفقه فيها، فهو اليوم
من كبار أصحاب مالك رضى الله عنه.

(1) سير أعلام النبلاء، 12 / 60.

أنت تموت في الحديد

وما كان أبو يعقوب ليموت إلا في الحديد كيف وقد قال الربيع
كنت عند الشافعي أنا والمزني وأبو يعقوب فقال لي: أنت تموت في
الحديث وقال لأبي يعقوب: أنت تموت في الحديد وقال للمزني: هذا
لو ناظره الشيطان لقطعه

قال الربيع: فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيت مقيداً إلى
أنصاف ساقيه مغولة يداه إلى عنقه

هذا لساني

وقال الربيع: كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى،
وما

رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب
البويطي. وقال الربيع أيضاً: كان لأبي يعقوب منزلة من الشافعي،
وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له: سل أبا يعقوب، فإذا
أجابه أخبره فيقول: هو كما قال. وقال أيضاً: ربما جاء رسول
صاحب الشرطة إلى الشافعي فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول: هذا
لساني.

لعل الله يخلصني بدعائهم

وقال أبو عمرو المستملى حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي
فقرأ علينا كتاب البويطي إليه وإذا فيه والذى أسألك أن تعرض حالي
على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصني بدعائهم فإنني في الحديد
وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة فضج الناس
بالبكاء والدعاء له.

انظر إلى هذا الحبر رحمه الله لم يكن أسفه إلا على أداء
الفرائض ولم يتأثر بالقيد ولا بالسجن فرضى الله عنه وجزاه عن
صبره خيراً

أجيب داعي الله

كان أبو يعقوب البويطي إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم
الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له
السجان: أين تريد فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله،
فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أنني قد أجبت داعيك فمنعوني⁽¹⁾.

من كلامه رحمه الله:

قال الربيع: كتب إلي أبو يعقوب البويطي أن اصبر نفسك
للغرباء، وحسن خلقك لأهل حلقك، فإني لم أزل أسمع الشافعي يقول
كثيراً ويتمثل:

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها :: ولن تكرم النفس التي لا
تهينها

(1) وفيات الأعيان، 7 / 63.